مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلد 11 العدد 1 / جوان 2025
ص ص 213– 229

الأخلاق من منظور إنساني- إريك فروم أنموذجا

The Question of Ethics in Erich Fromm's Thought

وليد مرياح[1]*، عبد الغني بوالسكك[2]

[1] جامعة باتنة 1، مخبر حوار الحضارات والعولمة LDCM (الجزائر)، walid.meriah@univ-batna.dz

[2] جامعة باتنة1، مخبر حوار الحضارات والعولمة LDCM (الجزائر)،

abdelghani.boussekek @univ-batna.dz

الاستلام: 2025/05/07 القبول: 2025/06/26 النشر: 2025/06/30

ملخص:

يتناول المقال مفهوم "الأخلاق "عند "إريك فروم"، كمفهوم يتماشي مع نزعة "إنسانية" كاملة، هادفة إلى كسر محدودية الرؤى الأخلاقية "النسبية"، من خلال بناء أخلاق "موضوعية"، كونية-إنسانية، تراعي بالدرجة الأولى، الهيكل الداخلي لشخصية الفرد، كمنطلق تكويني تنبع منه وتوجهه، كما تراعي على صعيد الأهداف، حفظ وإشباع حاجاته، وحل تناقضاته، ومشاكله الوجودية، كمشكلة "العزلة"،"العجز"، و"القلق" الوجودي، بما يضمن توجهه، نحو وضع إنساني سوي، تواصلي، لا-مغترب، يتماثل ويعبر عن فرادته الخاصة، المتمايزة، والمتفوقة عما سواها.

الكلمات المفتاحية : إنسان، أخلاق إنسانية، أخلاق تسلطية، إغتراب، كينونة.

Abstract:

The article examines Erich Fromm's concept of ethics as a fully humanistic framework that seeks to move beyond relativistic moral views by establishing an objective, universal-human ethics. Rooted in the individual's inner personality structure, this ethics aims to meet human needs, resolve existential issues such as isolation, helplessness, and anxiety, and guide the individual toward a healthy, non-alienated, and authentic human existence.

Keywords: Human, Humanistic Ethics, Authoritarian Ethics, Alienation, Being.

1.مقدمة:

لقد شهد القرن الماضي، مجموعة أحداث متداخلة، على أكثر من صعيد، بعضها يمكن تزكيته كإنتصار، وبعضها الآخر، يمكن وسمه بوسم "الإنتكاسة" الحضارية، ولعل من بين الإنتكاسات الكبرى، على المستوى الإنساني - الحضاري، أزمة "الكولونيالية"، والحروب العالمية ذات النطاق الواسع، التي كشفت، ورنحت الذات البشرية، بين قطبي نقيض، قطب المستبد المتسلط، وقطب الخاضع، وبينهما أضاعت الإنسانية كنوع، وكنزعة، كثيرا من القيم، التي إعتبرتها إلى زمن قريب، من أعظم فتوحات "الكائن-إنسان"، فردا كان أوجماعة، هذا الوضع المتشظي، لم يخلق أزمة "وجودية"، على مستوى

* المؤلف المراسل

الواقع المعيش فحسب، بل مس الجانب التنظيري كذلك، خصوصا قيم "التفاؤل"، التقدمية، التنويرية، وما إندرج تحت نطاقها، والتي بمجرد إنهيارها، تأزم الوضع الإنساني أكثر، أين هيمن التوتر، والشك العميقين، بالإضافة إلى فقدان "الثقة"، في المرجعيات المتعددة، على مستوى فواعل البنى التحتية، وكذا فواعل البنى الفوقية، ليخيم إنعدام "المعنى"، كل هذا دفع رواد القيم "الأخلاقية الموضوعية" بوجه خاص، إلى تكثيف أبحاثهم، في محاولة منهم للإقتراب، من الفهم الواضح السليم، لمشكلة "الخير" و"الشر"، بما يجنب إلى حد ما، طغيان التشاؤم، وسيطرة "النزعة النسبية" على المشهد القيمي، بشكل مطلق، مستعينين بطبيعة الحال، بأدوات معرفية منهجية، مُحدثة، متمخضةعن تلك التطورات، التي شهدها العلم "الإنساني –الاجتماعي"، والمنظومة المعرفية ككل، ولعل أبرز رواد هذه النزعة، على مستوى تنظيرات الفلسفة "الغربية المعاصرة"، الفيلسوف الألماني، رائد الفكر الإنساني "إريك فروم".فما مفهوم الأخلاق عند "فروم"؟ وماهي منطلقاتها، أنماطها، وأهدافها؟

2. الإنسانية كمعيار لأخلاق كونية

بداية يمكن القول بأن "إيمانويل كانط" وأتباعه، من خلال فلسفته الأخلاقية، وتوجهه العقلي العام، كان من أكبر الداعمين لفكرة الأساس العقلي، للخيارات الأخلاقية، هذه الفكرة كما هو معروف، حاول "دافيد هيوم"قبله، هدم أسسها بشكل كامل، حين إفتراض أن "العواطف" هي الموضوع الخام، والرئيس، للحكم والبناء الأخلاقي، فمن منطلق قاعدته في "الإتفاق"و"الإختلاف" بين الأفكار، كمعيار للصدق، وبناء على إنفلات العواطف ببساطة من أحكام هذه القاعدة، كونها (أي العواطف)غير قابلة للإختلاف أو الإتفاق، يخلص إلى عدم إمكانية إخضاع القيم الأخلاقية، للإختبارات العقلية، وعدم إمكانية التأصيل لها، وتأسيسها من منطلق "عقلي"خالص. (فروم، 1955-2009، صفحة 54)

إلا أنه في ظل موجة التقدم "العلمي-التقني"، الذي شهده عصرنا، وهيمنة النزوع العام نحو-توسيع مجال "اليقين"، "الصدق"، و"الموضوعية"، وإعلاء مكانة "العقل"، في شتى الميادين، بما فيها "الإنسانية –الإجتماعية"، طفت محاولات أقرب "للكانطية"، سعت إلى محاولة تقليص، هوة "الحكم" الأخلاقي، تلك الهوة التي تسببت بها "النسبية" و"اللا-عقلانية"، والتوجه بهذا الأخير نحو "عقلانية"، و"موضوعية" أكبر، حتى لو لم يتم بلوغ "المطلقية"، بشكل نهائي كلي، وهذا بالضبط ما إنتهجه "فروم"، على غرار عديد المفكرين، من خلال محاولته، بعث صرح "قيمي –موضوعي" صادق، بالإرتكاز واللجوء إلى أداة فعالة، والإستعانة بطرقها، وتقنياتها، أداة تمثلها مرونة، صدق، وتفكيكية " علم النفس الفردي-الإجتماعي "ذو الطابع الإنساني، خصوصا وأنه من منطلق خلفية "سيكوإجتماعية"، يعتقد بإرتباط المشكلات "الأخلاقية" بشكل مباشر، بالهيكل والبنية الشخصية، للأفراد والمجتمعات، مؤكدا على أنه، على المستويين "النظري" و"العلاجي –التطبيقي"، نجد الأحكام الصادرة حول القيم، هي التي تحدد أفعال الإنسان، وصحتها تعتمد إلى أبعد الحدود، على مدى تحقيق، ورسم سعادته الذاتية، وتوازناته النفسية. (fromm, 2013, p. 6).

وعليه "ففروم" يحاول مبدئيا، تجاوز "الأخلاق النسبية"، بربط تصوره الأخلاقي الخاص، بإمكانية تأسيس الأخلاق، كقيمة "موضوعية"، "عقلانية"، وبمدى تحقيقها "للإحتياجات" الطبيعية- الإنسانية، وعلى رأسها صحة الفرد النفسية وسعادته.

ضمن مسعاه لبناء "أخلاق إنسانية" موضوعية، يكون الإنسان مشرعها، وهدفها في آن واحد، ينتقد "فروم"، تلك التيارات التي أنكرت إستحالة تحقيق هذا، مؤكدا على ضرورة جعل "العقل الإنساني"، دليلا أخلاقيا متفردا، حُكما وتنظيرا، يتعالى، ويُفند أي سلطة أخلاقية أخرى، سواء كانت "ظاهرة"، بيّنة، كسلطة الكنيسة، أو "مجهولة"، إتفاقية، مُتسترة، تنافي مطلب تحقيق "الإحتياجات الإنسانية"الكاملة. (فروم, إريك، 1947-2007، صفحة 39)

إن تأكيد "فروم"على قدرة العقل البشري، على سن قيم أخلاقية "موضوعية"، يتوافق مع التوجه العام للفكر الأخلاقي، الإنساني -التقليدي، الذي دعى في عمومه، إلى بناء نظام قيمي "أخلاقي – إنساني"، ينفصل أو يتعالى على أي سلطة، عدى سلطة "العقل"، مع دعوة صريحة منه إلى خلق وصلة "تجاوزية"، يُجلّيها توجهه للتعمق أكثر، في فهم "البنية النفسية"، التي تشكل هيكل طبيعة هذا الكائن، كشرط لتحديد ماهية، قيمتي "السيء" و"الحسن"، "الخير" و"الشر"، بالنسبة له. (فروم, إريك، 1947-2007، صفحة 40)

هذا البناء "الأخلاقي –الإنساني" الفرومي الفريد، المؤسس على ضرورة كفاية، شرط تحقيق "الإحتياجات الإنسانية"، هو كما سبق الإشارة إليه، يتنافى في جوهره وغاياته، مع الأخلاق "السلطوية"، تلك الأخلاق، التي تُفرض على الذات من الخارج، دون إحترام خصوصية تكوينها، والتي وضع "فروم"هدف خلخلت بنيتها، ضمن أولويات فلسفته النقدية العامة، إلا أنه في نفس الوقت، يتقبل منها، ذلك النمط "السلطوي"، الذي وسمه بمصطلح"السلطة العقلانية"، كما يتقبل أيضا، كل رابطة "علائقية" صادرة عنها، إذ أن أساليب هذه الأخيرة، وغاياتها، تختلف عن نظيرتها "اللاعقلانية"، إختلافا جوهريا، كونها مبنية على ثنائية "نشطة"، منفتحة على أفق النقد والتواصل، هدفها نمو ذات "الخاضع" تدريجيا، لدرجة بلوغ كماله، كمال تنحل هي تلقائيا، قياسا عليه، ويضرب "فروم" مثال العلاقة "الإيجابية"، بين الأستاذ والطالب،كإشارة وتعبير عنها . (fromm, 2013, pp. 16-17)

إن "الأخلاق السلطوية"،مخالفة بشكل كامل، لنقيضتها "الإنسانية"،مبدأ ومضمونا حسب "فروم"، ذلك أنها تنطلق من مسلمة أن الإنسان، كذات عاقلة، عاجز عن معرفة ماهية "الخير" و"الشر"، بالإحتكام إلى قدراته الفردية، ولذا وجب عليه تلقي هذه القيم، من لدُن "سلطة خارجية" أعلى منه، وهذا مايضعه ضمن خانة "الأدنى" وجوديا،"إنها أخلاق، تبجل قيم القوة، وتجعل من متبنيها، خاضعا لمعادلة "وجودية" فريدة، وهي الخضوع، وخشية من هم أعلى منه درجة، وإضطهاد، من هم أقل منه في سلم القيم " (Pikkola, 2010, p. 75)بالإضافة إلى هذا، فإن محتوى النظم الأخلاقية في هذه الحالة، يكون موجها بالأساس، لخدمة مصالح، وإستمرارية "السلطة الخارجية" المُشرّعة، بدل أن يوجه لتحقيق نمو، وكمال "الذوات" الإنسانية الفردية، ليؤكد مرارا،بأن التنظير "الإنساني" للقيمة الخلقية، هو ذاك الذي يجعل من هذا الأخير (أي

الإنسان)،معيارا للفضيلة والرذيلة، بالشكل الذي يجعل "الخير"، يمثل كل ما هو "جيد" للإنسان، و"الشر" يتمثل في كل مايعيق نمو ملكاته، بشكل كامل "منتج". (فروم, إريك، 1947-2007، صفحة 47)

في تحليله لمعادلة "الإنساني" و"السلطوي"، ضمن أفق القيمة الخلقية، يتوغل "فروم"،في تتبع البناء النفسي للفرد، في تعاطيه، وعلاقاته مع كيانات، خطابات، وآليات "السلطة"، وفي كيفية تكوُن خبراته، حول ماهية "الخير" و"الشر"، فالطفل مثلا، سواءا في المنزل أو المدرسة، تُبنى تصوراته للجيد والسيء، وفق ردود أفعال المهيمنين عليه إتجاه سلوكاته، والذين يعتبرونه "جيدا-إيجابيا"، بقدر إمتثاله وطاعته –في حالة النمط السلطوي اللاعقلاني-، بينما لو فكر في التعبير عن إستقلاليته، وعن كينونته الحرة - الأصيلة، سيصنف، ويوضع مباشرة، في خانة "القبيح" سلوكا وخُلقا، وعليه فإن إخضاع الفرد، ومطابقته مع كيان "إجتماعي" أعظم منه، والسيطرة على هذا الكيان، هو من أهم ميكانيزمات "الأخلاق السلطوية"، وهو من أكبر عوائق بلوغ "الموضوعية- القيمية" وفق "فروم". (فروم, إريك، 1947-2007، صفحة 47)

تنطلق "الموضوعية الأخلاقية" عند"فروم" عموما، من إفتراض وجود "طبيعة بشرية" مشتركة، من ناحية البنية والإحتياجات الإنسانية الأساسية، وهذا ما يخالف تماما مذهب "النسبية الأخلاقية"، التي ترفض التسلم بهكذا مبادئ ومنطلقات، كونها (أي الموضوعية الأخلافية) تضع الإنسان، لا مركزا للكون فحسب، بل تنزل خصوصيته المتمايزة، منزلة "المعيار"القيمي، والمقياس الرئيس، لجميع "الإدراكات" و"الأحكام"، بما فيها تلك "الأخلاقية"، فيكون الوجود البشري بناءا على هذا، مقياسا لكل شيء، وأعلى مرتبة بكثير، مما سواه. (fromm, 2013, p. 20)

و يرى "فروم"، أن تأكيد "مركزية" الإنسان، كمُنظر بذاته ولذاته، لها حضورية "تاريخية"، تعود وترجع لتلامس أرضية الفكر اليوناني، بالتحديد إلى تصورات المفكر "أريستيبس"، من خلال محاولاته الجريئة، في جعل "اللذة "هدفا أساسيا، وحيدا، لحياة الإنسان، حيث أعلن آنذاك بوادر ميلاد نمط جديد، من أنماط "التفكير الأخلاقي" (فروم, إريك، 1947-2007، صفحة 205)، وبالرغم من جهود "هربرت سبنسر" لاحقا، والتي أعادت إحياء وتأصيل هذا المنحى من جديد، بمنح الشرعية لأخلاق "اللذة "، من خلال تأكيد"المتعة"، كوظيفة ضرورية، وموضوعية، داخل نسيج العملية "البيولوجية –التطورية" للإنسان، ككائن حي، إلا أن "فروم"،بناءا على خبراته النفسية، يذهب للقول بعدم صمود كل هذه الأفكار والتصورات، أمام أساليب وعمق "التحليل النفسي- الإنساني"، الذي يفند بشكل نهائي، إمكانية رقي "اللذة" لدرجة المعيار الموضوعي، من منطلق تأكيده على وجود أفراد، يستمتعون بالخضوع بدل "الحرية"، وبالتبعية بدل "الإستقلالية"، وبالكراهية بدل "الحب"، وهذا مايعتبر حسبه دليلا كافيا. (فروم, إريك، 1947-2007، صفحة 50)

في تحليله لأخلاق "اللذة"، يعرج "فروم"على فلسفة "أبيقور"الأخلاقية، مشيدا بذلك البعد، الذي حاول هذا الأخير منحه لها،خصوصا بوصله إياها ببعض الفضائل، كالشجاعة، الصدق، العدالة، والأمل، وتمييزه المُبدع، بين لذات

"دنيا"وأخرى "عليا"أرقى، إلا أنه رغم هذا فشل هو الآخر-حسب إعتقاد فروم-، في التأسيس لمعيار "أخلاقي موضوعي" صادق، وذلك راجع خصوصا لإستخدامه "الطبع"، كمفهوم مجرد، وكمعيار للحكم على كل فضيلة ورذيلة. (فروم, إريك، 1947-2007، صفحة 206)

وبالرغم من هذا، يصنف "فروم" عموما، أخلاق "اللذة" ضمن التوجه "الإنساني"الكلي، الذي ينتمي إليه، ويشيد به، إلا أن هذا لم يمنعه من تأكيد فشلها مرارا، في بناء أخلاق "إنسانية – موضوعية"، لا مطلقة، بل مفتوحة على قابلية التحيين، والتحسين المستمر، مدعومة بقوة براهين، وأدلة واضحة هامة، مركزها الإنسان، وغايتها وضع هذا الأخير، ضمن أفق وجوده الكامل -الأصيل. (fromm, 2013, p. 24)

3-علم النفس الإنساني ومساعي التأسيس لعلم أخلاق -موضوعي:

لقد تم التشكيك -في كثير من الأحيان- ضمن سياقات الفكرالغربي المعاصر- القيمية، في إمكانية تأسيس "علم أخلاق" موضوعي، وهذا ما أدركه "فروم" المابعد حداثي جيدا، بداية من محاولته،مناقشة الطرح القائل بالإختلاف الجوهري، بين "الحقائق" و"القيم"، وصولا إلى إعتباره الأخلاق علما "معياريا"، قائما على قيم فرعية، لها غايات وأهداف عالمية "كونية"، إذ في سبيل توضيحه، إمكانية وجود "علم" للأخلاق، تناول "فروم" مفهوم "الفن"، كخطوة إستباقية، بالتحليل، مؤكدا أن كل"فن" في الغالب، يَشتق معاييره "الموضوعية" الصادقة، من وقائع وحقائق "علمية"، تثبتها "المناهج" المنطقية والتجريبية، هذه الوقائع تمثل "العلم التطبيقي" العملي، المرتبط به، فمثلا فن بناء السكك الحديدية، يستند في نجاحه، على مبادئ علمية، دقيقة، تُسقط واقعا. (fromm, 2013, p. 25)

في سياق هذا الطرح يميل "فروم" إشادة، بالطب والهندسة وفن الرسم، كونها أصعب الفنون وأعظمها، وأكثرها تعقيدا، لأنها في نظره تتخطى نطاق إنجازاتها التخصصية، العينية، محفزة مجالا، أوسع وأشمل، وهو عملية "العمل –إنتاجية"، التي ضمنها فقط، يصبح العمل "فنا" حقيقيا، موجها نحو تطوير، وتعزيز "ماهو ممكن"، بعد سحبه نحو "ماينبغي أن يكون"، وضمن هذه الفاعلية "المنتجة -الإيجابية"، يكون الإنسان هو الفنان، وفي نفس الوقت موضوع فنه. (فروم, إريك، 1947-2007، صفحة 52)

من خلال هذا التحليل والسياق المفاهيمي، يربط "فروم" الأخلاق كعلم، بالحياة أو بفن "العيش"، معتبرا إياها "العلم التطبيقي" لفن الحياة الكابح والمانع "لإنجرافها-سقوطها"، القائم في نفس الوقت، على أساس "نظري"، تمثله "الطبيعة البشرية"، وبالنسبة له، لايمكن قيام علم من العلوم، دون رغبة بشرية مُلحة في هذا، فالطب مثلا، قام لوجود رغبة ملحة في العلاج والشفاء، وعليه فعلم الأخلاق كعلم "تطبيقي"، أُسس، وقام لدعم "غريزة الحياة "وتعزيزها، كونها رغبة "جوهرية" مُلحة، ومُشتركة لدى جميع الكائنات الحية (فروم, إريك، 1947-2007، صفحة 52)، التي تملك داخلها، نزوعا "طبيعيا" نحو الحياة، ونحو تحقيق إمكاناتها الكاملة، إستنادا لمعطيات بيئتها، وإستنادا لتلك القوانين، التي تسري على الطبيعة والكون. (فروم, إريك، 1947-2007، صفحة 53)

في مفهومه عن الإنسان، كحامل ومُشرع للأخلاق، يتجاوز "فروم"،ذلك المفهوم "المجرد-

العام"، إلى آخر "فردي- خاص"، فبالنسبة له رغم إشتراك الأفراد، في مجموع الصفات الإنسانية، إلا أن كل فرد، يحتفظ بجانب من التميز والخصوصية، تفرضه مواهبه، وإستعداداته الداخلية، وتوجهات "شخصيته" عموما، هذه المواهب والملكات الداخلية، تتحقق كإمكانيات إنسانية كاملة- في وضعها السوي-، تنزع نحو الحياة، ونحو التوجهات "البيوفيلية"، التي تضمنها "الأخلاق الإنسانية"، من حيث إعتبارها "معيارا "للخير الإنساني الشامل، وتُشل، وتُوجه نحو الأنماط والسلوكات "النيكروفيلية" الميتة، التحكمية، واللامسؤولة، كمعايير للشر، متشبع بها ,وداعي لها مسار، و أفق "أخلاق التسلط". (Lundgren, 1998, p. 62)

وضمن سياق حديثه، عن "علم الأخلاق- الإنساني"، يلح "فروم" كذلك، على ضرورة تحقيق أقصى معرفة، وعمق، بخصوص معرفة "الطبيعة البشرية"، كشرط أساسي، رئيس، لقيام هذا العلم، عمق مبني بالدرجة الأولى، على فهم سليم لإحتياجات الإنسان "الطبيعية"، والتي تنقسم حسبه إلى "فيزيولوجية"، مادية، كالمأكل والمشرب، وإلى أخرى"وجودية –نفسية"، غائرة، وضاربة في عمق جوهر "الكينونة" البشرية، مُتسترة نوعا ما، تتقدمها الحاجة "للتواصل"، كدرب لكسر حاجز العزلة، والوحدة، التي أضحت داء العصر، وهنا ينهنا "فروم"، إلى نمط آخر من العزلة، خطره يتجاوز خطر العزلة "الجسدية"، والمتمثل في العزلة "المعنوية"أو "الأخلاقية– الإنتمائية" (فروم، 1941-1972، الصفحات 23-24)، فالراهب مثلا، في صومعته، هو في حالة عزلة "ظاهرية"، جسدية، غير أنه مرتبط معنويا، و"أخلاقيا"، بمصدر متعالي ما، وهذا يشبع حاجته الباطنية للتواصل، بالشكل الذي يحفظ صحته "العقلية –النفسية"، في حين لو حدث، أن غابت هذه الوصلة "المعنوية"، فإن حتمية الإنهيار النفسي والعقلي، ستكون مؤكدة طبعا، وفعل "التواصل"،لايقتصر على المعنوي أو الجسدي فحسب، بل يتعداه إلى "التواصل الداخلي" البينذاتي، المتجلي في تواصل الفرد مع ذاته هو، وعدم إعتبارها كيانا غريبا عنه، وكل هذا تحققه، وتسعى إليه التشريعات "الأخلاقية-الإنسانية" عموما،في توجهها نحو كسر كل معادلة "تغريبية- إفراغية". (فروم، 1941-1972، صفحة 24)

وبناءا على تأكيده لفعل "التواصل –علاقة"، يؤصل"فروم" إيمانه العميق، بأن الإنسان كائن "إجتماعي" بطبعه، منفتح على الآخر، كخصيصة فاعلة-مميزة، ضمن طبيعته البشرية، وبإستحضاره أطياف كل من "ماركس" و"فرويد"، بالإضافة لأطياف "هيدغر" و"كيركغارد" ضمنيا، يؤكد من جانب آخر*ديناميكية*،ولا –ستاتيكية هذه الطبيعة، وتوجهاتها المُستديمة نحو "التكيف" مع البيئة "الثقافية –الإجتماعية" السوية، التي تتواجد بها، في إطار نظم "فن العيش"، إذ كما أن الإنسان، يؤثر على وسطه الحضاري، فكذلك هذا الوسط، يمتد ليؤثر على "سلامة" الفرد "النفسية –العقلية"، وسلامة شخصيته، إذا حدث وتم قمع دافع من دوافعه، كالدافع الغريزي مثلا، أو إعاقة قيمة أخلاقية، من قيمه السوية. (فروم, إريك، 1947-2007، صفحة 57)

غير أن سلامة الفرد "النفسية –العقلية" و"القيمية"، لاتقتصر على إشباع حاجاته ودوافعه فحسب، بل تتحقق بشكل كامل –وفق تصور "فروم" -بوعي الإنسان، لتلك التناقضات

"التاريخية"، و"الوجودية"، التي تحيط، وتتخلل ذاته، ومن ضمنها الوعي بحقيقة "الموت"، هذا التحدي العظيم، الذي جذب إهتمام عديد الإديولوجيات، وإن حاولت في كثير من الأحيان إنكاره، بإستخدام "عزاءات" الحياة الأبدية بعده، كإديولوجية "المسيحية" مثلا، ورغم ضرورة هذا الوعي(أي وعي الموت)، إلا أن "فروم" يدعوا، إلى عدم جعله مركزا للتفكير البشري، فالحكيم بالنسبة له-كما عند "سبينوزا" من قبله -، هو ذلك الشخص، الذي يقدم أولوية التفكير في "الحياة"، والعيش "المكثف"، على التفكير في "الموت"و"الفناء" (fromm, 2013, p. 44)، ومن ضمن التناقضات "الوجودية"، التي يقع فيها الإنسان أيضا حسب"فروم"، والتي تعيق من جانب آخر، كمال تشريعاته القيمية الأخلاقية – الإنسانية أيضا، هي قصر حياته، بالشكل الذي يثبط ميله نحو تحقيق إمكاناته، في طابع "سوي-كامل"، وهذا ماعزز كذلك ظهور إديولوجيات، ترى تحققها الكامل، بعد فنائه، وأخرى ترى عدم وجود ضرورة، لبلوغها بالمرة، لأن الهدف الأسمى في معتقدها، هو التضحية بكمال الفرد، لصالح بلوغ كمال المجتمع، ذو الأولوية، دون نسيان تلك الداعية إلى تجاوز هذا الأخير كليا، والمرور من خلاله، نحو إنسان "السايبورغ" الفائق، الذي ستتحقق فيه كل الإمكانيات الواقعية والأخلاقية، تلقائيا، كما نلمح أيضا تناقضات، مرتبطة بعلاقة الإنسان بالطبيعة، وكيف أنه جزء منها، ويعلو عليها، في آن واحد، وأن علاقته السوية بها، لابد أن تكون علاقة وفاق لا سيطرة، في إشارة إلى أنه السيد، المُشرع أيضا لأخلاق، تتجاوز مجال علاقات الأفراد، لتحكم علاقة الإنسان بالطبيعة،كأخلاق "إيكولوجية-وفاقية". (فروم، 1968-2010، صفحة 102)

كما يتطرق"فروم"كذلك، خلال التعمق في فهم طبيعة "المشرع الأخلاقي –إنسان"، إلى مجموعة من التناقضات "التاريخية –اللامنطقية" التي تؤثر على واقعه وقيمه، خصوصا تلك التي برزت بشكل جلي، في عصر" الرأسمالية-الفائقة"، والمتمثلة في كثرة، وبلوغ الوسائل التقنية، مستويات غير مسبوقة من التقدم المادي، ومع هذا يتم تسخيرها لا لخدمة الإنسانية وقيم السلام ، وأخلاق العيش المشترك، بل في الغالب لبث قيم "الدمار"، وإرتكاسات "الحروب "في أوساط البشرية، ورغم عظمة هذا التناقض، إلا أنه قابل مبدئيا للحل في نظره، شريطة تحلي الإنسان بالحكمة، والشجاعة،وسلوك المبادئ الإنسانية السليمة كدستور . (فروم, إريك، 1947-2007، الصفحات 77-78)

إن غور"التناقضات الوجودية" إذا، كفجوة في "كينونة" الإنسان، وكشرخ لايمكن إنكاره، لهو تحريض أيضا على البحث عن حلول "وجودية" مستدامة، وتعزيزها، كسبيل، يراه *فروم* الوحيد والأمثل، إذا أردنا تجاوزها، وفي مقدمة هذه الحلول –كما يقترح-،هو أن ننظر في وجه هذه الحقيقة،أي حقيقة عجزنا، وأن نعترف بالعزلة، التي تتخللنا في كون وعالم، لايولي أهمية كبرى لمصيرنا، أن نؤمن بأنه لا توجد قوة، غير الإنسان، يمكنها حل مشكلاته الوجودية، وأن نقبل مسؤولية أنفسنا، مع توجيه قوانا الداخلية، لفك شرخنا الوجودي، بالشكل الذي يمنح حياتنا معنى. (fromm, 2013, p. 47)

ومن بين الحاجات ذات الأولوية في الإشباع، التي نبه إليها "فروم"مرارا، كونها تضع الكينونة

البشرية، على سكة الوجود الأصيل بكل معانيه ومستوياته، هي ضرورة تقمص، وتبني الإنسان "لأطار توجيه وموضوع إخلاص" قيمي معين، بناءا على كونه كائن "مركب"، لا من عقل فحسب، بل من جسد، شعور، وعواطف أيضا، بما يجعله ينزع "تلقائيا"، نحو بناء وتقمص مبادئ نظم، تحقق له رغباته، وحاجاته الداخلية المُلحة، التي تضغط عليه أجزاءها تلقائيا، بهدف تحقيق إشباعها، هذه النظم تتمثل في الأديان، "الطوطمية" البدائية مثلا، أو "التوحيدية" أوحتى "الإنسانية"، كالبوذية، حيث أن كل فرد، يتبنى نظاما توجيهيا - إخلاصيا، يتماشى مع درجة نضجه، العقلية والوجدانية، وما ظهور هذه الأنظمة، على مر التاريخ، سوى دليل على عدم إمكانية وأد، وقمع هذه الإحتياجات "النفسية-الوجودية" الفطرية للإنسان . (فروم, إريك، 1947-2007، الصفحات 81-82)

وعليه ينزل "فروم" الإنسان منزلة الكائن "القيمي- ديني"بالطبيعة، الذي ينزع تلقائيا نحو- فعل "الإيمان-إعتناق"، ونظرا لأن التهديدات الوجودية الأخطر، على الإنسان، تنبع مما تتقمصه روحه، من إديولوجيات وقيم مختلفة، لا مما يتقمصه جسده، فإن "فروم" يدعوا إلى ضرورة تمحيص "أطر التوجه ومواضيع الإخلاص"، مع تمييز "الحسن" منها عن "السيء"، وعدم الإعتقاد بأنها صالحة في ذاتها، كما أقرت "النسبية الأخلاقية"، بل إن الصالح منها وفقه، هو ذاك الذي يعبر، ويشبع "الحاجات" الإنسانية الحقيقية، بل ويطور ملكات الأفراد والمجتمعات، بشكل يمتد ليحفظ، التوازن الكامل في العالم. (fromm, 2013, p. 51)

وعليه فإن تأسيس قيم "أخلاقية-إنسانية"كعلم، لابد أن يضع التغلب على تجربة "العزلة"، "الألم" و"العبودية"، و"الإتحاد" مع ذواتنا، الآخر، والطبيعة، ضمن أولويات غاياته التنظيرية (fromm, psychoanalysis and zen buddhism , p. 16)، ذلك أن إختيارات الإنسان "الوجودية" تتقلص، بحسب شدة، وتعاظم "الشروخ"، التي تصيب كينونته، لتستقر إلى خيارين أساسيين، لا ثالث لهما، أحدهما يدعوا ويؤسس لسحب الإنسان نحو - وحدته الأولى، مع الطبيعة، بما يفرض عليه التنازل عن حالة، ووضع "الوعي"، وهذا غير ممكن منطقيا، ووجوديا، والآخر أن يتقدم نحو- "إنسانية"كاملة، قوامها تطوير "عقله" و"وعيه "و"محبته"، وهو الخيار الأنسب له (فروم وآخرون، بوذية الزن والتحليل النفسي، 1959-2006، صفحة 126)، وهذا طبعا يتأتى بتحقق أعمق معرفة، بالشخصية الإنسانية، سواء العامة "الإجتماعية –المشتركة" أو "الفردية-الخاصة"، وهنا يعيد"فروم"الجزم، بأن تطور "علم النفس"، هو الشرط الإستباقي، الضروري، لبناء وتطوير علم أخلاق "إنسانية –موضوعية". (فروم, إريك، 1947-2007، صفحة 65)، مستدلا في السياق ذاته، بأن الفلسفة الأخلاقية "لسبينوزا"،بلغت درجة أعمق، من نظيرتها "الأرسطية"، لإرتباطها طبعا، بعلم النفس، حيث أن هذا الأخير، عمد إلى صياغة مفاهيم متقدمة، حول "الدوافع اللاواعية" و"الرغبة"، بالشكل الذي جعله كمنظر أخلاقي أيضا، أعمق بكثير من "أرسطو"، ومع ذلك فإن المستوى المجرد، الذي عجزت نظرياته، عن تجاوزه، لعدم وجود سند "إمبريقي"، يثبت صحتها،

قد جعلها محدودة نوعا ما . (فروم, إريك، 1947-2007، صفحة 65)

4-الشخصية والأخلاق الإنسانية- العقلانية:

وفقا لفروم، أصبحت "الأخلاق" كقيم، قابلة للتقدم الحقيقي، بمجرد ظهور "علم النفس الديناميكي"، للمؤسس و الرائد "بروير"، ذلك العلم، الذي سلط الضوء على "شخصية" الإنسان بشكل شامل، في علاقاتها وبنيتها، لا في مجرد أوضاعها "المنعزلة"، وأجزائها المنفردة، أحدها دون الآخر، حيث ربط هذا الأخير، فهم الأعراض "العصابية –المرضية"، بضرورة فهم "شخصية" المريض، وتوجهاتها، ليتم بهذا إرساء أسس "علم الشخصية"، وإعادته لأحضان "علم النفس" من جديد، بعدما ترك لقرون، للمسرحيين، والروائيين (fromm, 2013, p. 57)، بالإضافة لبروير، ورغم خلافه في عديد المبادئ معه، يشيد "فروم" كذلك، بالمستوى العميق، الذي بلغه "فرويد"في فهم وتحليل "الشخصية" الإنسانية، مستوى لايقدر حسبه بثمن، حيث أن الدراسة، والتحليل "العلمي" الحقيقي للشخصية، يبدأ منذ اللحظة الفارقة، التي نشر فيها "فرويد"مقالته حول"الشخصية الشرجية". (فروم, إريك، 1947-2007، صفحة 71)

شخصية تلعب نظريتها-بالرغم من عدم إكتمالها بالشكل النهائي- في البراديغم الأخلاقي "لفروم"، دورا حاسما، في بناء تصوراتنا حول "الخير" و"الشر"، اللذين لايمكن الحديث عنهما، بمعزل عنها، سواء تلك الخاصة بالفرد أو المتعلقة بالمجتمع، فالتواضع مثلا، لو كان نتيجة "تعويض"أو "خوف" ما، أو أي "دوافع" مكبوتة،ولم يكن وليد توجه "شخصية-إيجابي"، فإنه سيخرج ضرورة،عن أطر، ومعاني مسمى "فضيلة"، وعلى العموم "الأخلاق" من منظوره، لاتهدف إلى بناء سلوكات وأفعال فردية، منعزلة، بل لابد أن توجه،بناء على "منبع-توجه" شخصية داخلي، نحو بناء إنسان "كامل –أخلاقي"، بالمعنى الحسن،السوي. (فروم, إريك، 1947-2007، صفحة 68)

وبالرغم من إشادته بأنماط "الشخصية" الفرويدية، كأساس مبدئي لبناء "علم أخلاق-موضوعي"، ينتقد"فروم"النسبية الأخلاقية، التي وقع فيها هذا الأخير، من خلال إدراكه أهمية "علم النفس"، في فهم "الدوافع"، الكامنة وراء "الأحكام" القيمية، ومع هذا، لم يعترف بفعاليته، في تحديد "المعايير"، التي تثبت صحتها، إلا أن هذا برأي "فروم"، لم يجعل نسبية "فرويد" مطلقة، إذ أن الثقة، التي خص بها "العقل"، في تقسيمه للبنية النفسية الداخلية، والروابط التي وضعها، بين "الإنتاجية"، ونمط "الشخصية الليبيدية"، وبين مفاهيم "الإتكالية"، الجشع، والبخل، والمرحلة الماقبل- ليبيدية، كل هذا يمثل علامات موقف "أخلاقي"، دقيق، و واضح. (فروم, إريك، 1947-2007، الصفحات 70-71)

على ضوء تسليمه، بالدفعة الإيجابية، التي يقدمها الفهم العميق لشخصية الفرد، للوعي السليم، بطبيعة "خياراتنا" الأخلاقية، يشرع "فروم"، في بناء مفاهيمه وتصوراته حول بنية، وتوجهات "الشخصية"، مميزا في هذا، بين "الشخصية" كبنية كلية، وبين "الطبع" و *المزاج*،كمكونين لهذه البنية، إذ "الشخصية" حسبه، هي مجموع الصفات النفسية، "الفطرية" منها و"المكتسبة"، التي تميز فردا معينا، عن غيره من الأفراد (fromm, 2013, p. 52)، أما "المزاج"، فهو تعبير عن تلك الطريقة التي يستجيب بها هذا

الفرد أو ذاك، للمواقف المتعددة، كرد فعل، يرتبط غالبا بالقدرات النفسية "الفطرية – الموروثة"، وتقيم هذه الإستجابة، وفقا لمعيار "الأقل" و"الأكثر" شدة، خلافا "للطبع"، الذي يشكل جوهر، مجموع، الصفات "المكتسبة"، ويرتبط مباشرة، بتوجه الفرد "الأخلاقي"، إذ بينما لاتكتسب الإختلافات "المزاجية"، أهمية كبرى في "علم الأخلاق"، فإن تلك المتعلقة "بالطبع"، ذات أهمية كبرى بالنسبة لهذا العلم، لإرتباطه بالنجاح أو الفشل، في فعل الحياة، أو في" فن العيش". (fromm, 2013, p. 53)

وضمن مسعى تأسيسه، لنظريته حول "الشخصية"،بنيتها،أنماطها،وتوجهاتها، يخالف"فروم"، طروحات "السلوكيين"، مستحضرا بعض إستنتاجات ومبادئ "فرويد"،كإعتبار "الطبع" مثلا، مجموعة دوافع "كامنة" خلف "السلوك"، غير أنها لا تتطابق معه، بالإضافة إلى الغوص في الدوافع "اللاواعية"، المحركة لسلوكات الفرد، والإهتمام بالطابع "الكلي"، للطبع نفسه، بدل السمات المنفردة، إلا أن "فروم"، لايجعل القوى والدوافع "الليبيدية"، مركزا لبناء، وتشكيل هيكل "الشخصية"، بل إن علاقات الفرد -وفقه-مع الآخر، والعالم، هي الفيصل في نمو، وتشكل بنية وتوجه شخصيته العام، وفق "دينامية " تمنحها عمليتين، رئيسيتين هما: "عملية الإستيعاب"، التي تضمن، وترافق حصوله على الأشياء التي يرغب بها، وعملية "التفاعل والتنشئة الإجتماعية*، كآلية تواصل-إنفتاح، على الذات، الآخر،والعالم، وكلا العمليتين بطبيعة الحال، غير محددتين مسبقا، من طرف "الغريزة". (فروم, إريك، 1947-2007، صفحة 91)

إن "الطبع" بالنسبة لفروم، لايتوقف عند كونه "طاقة" إنسانية، تنمو من خلال تكثيف عمليات "التفاعل الاجتماعي" و"الإستيعاب"، لتحل محل تلك "الغريزة –الحيوانية" البدائية في الإنسان، بل إنه وظيفة "وجودية"، تسمح بالتكيف الإيجابي (التكيف هنا، يخالف مفهوم التطابق)، و تتدخل في تبني، وبناء الأفكار، والقيم الأخلاقية من جهة، كما تسمح له بالتأثر، بالديناميكيات الثقافية، الاجتماعية، والإقتصادية السائدة، من جهة أخرى . (فروم, إريك، 1947-2007، الصفحات 92-93)

وعليه تعتبر عملية "التفاعل الاجتماعي"، سبيلا لفهم توجهات "الشخصية" عند"فروم"، وبالتالي طريقا لفهم "الطبع"، من خلال فعل "التكيف"، مع شروط "موضوعية" خاصة، ولكي يساهم هذا التكيف في تشكيل "الطبع"، لابد أن يتسم بالديناميكية، لا بالثبات، ويوضح "فروم" كلا النمطين، فالثابت مثلا، تعبر عنه عملية "تكيف" شخص "شرقي" ما، مع عادة إستخدام "السكين" و"الشوكة" للأكل، أثناء إنتقاله للغرب، أما "الديناميكي" منه، فهو ذلك "التغيير "الطبعي، الذي يحصل في "شخصية" طفل مثلا، يتعرض لإملاءات "أب" قاسي، إذ سيتكيف حتما، مع وضع "الطاعة"، غير أنه قد يكبت كراهية شديدة ضد والده، هذه الأخيرة ستشكل فيما بعد، عاملا أساسيا في بناء هيكل "طبعه"، مولدة قلقا شديدا، تنمو بفعله، حالة "خضوع "قوية، أو قد تقوده إلى تحدي كبير، قوامه "الكراهية-التدميرية "ضد والده، أو قد يتطور الوضع، لتكون هذه المشاعر والمواقف عامة، ضد نفسه، الأشياء، الآخر، والحياة ككل. (fromm, escape from freedom, 2013, p. 23)

إن تفاعل الفرد مع "الآخر-عالم"، محكوم إما بتوجهات "تقدمية"،وجودية،وأخلاقية، منفتحة، نمائية، أو أخرى "تراجعية"،تثبيتية، تكافلية، إنكفائية، إذ في تحليله لشخصية "الإنسان المعاصر"، يكشف "فروم"عن توجهات "تراجعية" تشكل جوهر الطبع "الإستبدادي" اللا-أخلاقي، وتمثل "آليات هروب "هذا الإنسان، من عبء "الحرية "و"العزلة" الذي لايطاق،و الناتج عن قطع "الروابط الأولية"(روابط التربة،الدم، القبيلة، النظم) في مرحلة ما (فروم، 1941-1972، صفحة 113)، وفي مقدمتها(أي أساليب الهروب) التوجهات "السادية"و"المازوخية"، كتجسيد جلي، للتنازل عن "الإستقلالية" الشخصية، ومحاولة الإندماج، مع شخص أو نظام أو كيان ما، بحثا عن "الأمن" المفقود نتيجة *الإنفصال*، وقطع الروابط الثانوية. (فروم، 1941-1972، صفحة 126)

في الإطار يرتبط "فروم "*السادية* بالمازوخية،كوضع "قيمي –وجودي" لاأخلاقي، ذلك أن كلا الفردين، "المسيطر" و"الخاضع"، يحتاج بعضهما للآخر، ضمن هذه الرابطة "التكافلية"،الغير سوية،واللاعقلانية، حيث أن "المازوخي"، يتخلص من الذات الفردية، هروبا من حمل لايطاق، محاولا نسج علاقة "تعويضية" غير منتجة، نفس الأمر بالنسبة "للسادي"، الذي يحاول التغلب على ضعفه، وعزلته، في وضع "الحرية" و"الإستقلال"، ببناء روابط "زائفة-وهمية"، جوهرها "السيطرة" على الآخر، وعليه يخلص "فروم"إلى إرتباط كلا التوجهين، كونهما نتيجة نفس "الدافع" اللاأخلاقي، وهو الهروب، ونسيان الذات. (فروم، 1941-1972، الصفحات 117-118)

و بما أن الروابط "السلطوية –الإستبدادية"، سواء كانت "سادية" أو "مازوخية"، تنحو بإتجاه الإستجابة "اللا إنسانية"، لمشكلة "العزلة" و"الوحدة"، فإن "فروم"،يضعها في حكم الأوضاع، والقيم "اللاعقلانية"، كونها لاتلبي بالشكل "السوي" الكامل، إشباع "الحاجات" الإنسانية، ومن منطلق تحليله للمواقف الأخلاقية العديدة، يحدد مفاهيمه الخاصة، للحكم على "العقلاني" و"اللاعقلاني"، ضمن منظومة "القيمة" الخلقية، بناءا على تحقيقها، "لفاعلية –إنتاجية" سوية، ضمن توجهات الوضع البشري الكلي، من عدمه (فروم, إريك، 1947-2007، صفحة 52)، وقياسا على هذه المسلمة، يعمد إلى إعطاء البديل، الذي يضمن هذا، والمتمثل في العلاقة "الترابطية – التواصلية" بين الفرد، ذاته، والآخر، المبنية على فعل "المشاركة"، "القرب"، و"الحب"، وهي عكس سابقاتها، التي تحتفظ بنوع من "المسافة-فاصلة"، و"الإنسحاب" من الآخر، بما يولد "اللامبالاة" العاطفية، والنفسية .

إن الممثل الرئيس النشط لفعل "الانسحاب" وفقه، هو التوجه "التدميري –النيكروفيلي"، وهنا يوغل "فروم"، في التأكيد على وجوب التمييز، بين "تدميرية"، يمكن تزكية مشروعيتها، بإعتبارها رد فعل "دفاعي" من الفرد، عن وجوده، وعن موارد هذا الوجود (جسده، أفكاره، معتقداته)، وأخرى "مرضية " غير مشروعة، ولاأخلاقية، كامنة، تنتظر "المثير" فحسب، لتدمر أي موضوع، توجه نحوه .(fromm, 2013, p. 161)

وهي في تناسب عكسي، مع القدرات "البيوفيلية-الأخلاقية" اللامعاشة، واللامتمثلة، إذ كلما تم كبت قيم "الحياة"، كلما تعاظمت الدوافع التدميرية، اللا أخلاقية، ووجهت نحو -كل

ماهو حي، داخليا أو خارجيا، وهنا نلمح تغليبه للنزعة "البيوفيلية-الحياتية"، كنزعة فطرية، ينحو نحوها كل كائن، بما يجعله يتحفظ بهذا التصور، على "غريزة الموت" الفرويدية. (فروم، 1941-1972، صفحة 148)

في تحليله للإنسان المعاصر، بنية، وتوجها، يتطرق "فروم"كذلك، إلى توجه مهم جدا، يمكن تصنيفه" كلا –أخلاقي" أيضا، توجه تكمن أهميته، في كونه أصبح بصمة شبه عامة، تطبع شخصية الفرد المعاصر، ألا وهو التوجه "التوافقي –التطابقي"، الآلي، الذي يميل من خلاله الفرد، المثقل "وجوديا"، والمتشظي "تواصليا"، نتيجة للقلق والعزلة، كوضع لايطاق، بالنسبة لذات غير مفعلة الإمكانات بالكامل، إلى التنازل عن فرديته، وعن وجوده الأصيل، من خلال "الإندماج"، ضمن "جموع الجماهير" أو "القطيع"، تبني الآراء العامة، والتنازل لصالحها عن أفعال "الملكات" الأصلية، كالتفكير والرأي، وهنا لايتنازل الفرد عن حريته فحسب، بل يخيل إليه، أنه حر كذلك، لتحكم بهذا "التبعية" الوجودية اللاأخلاقية، قبضتها عليه بشكل مطلق. (فروم، 1941-1972، صفحة 150)

ظاهريا قد تخفف هذه "التوافقية-الآلية"، من عبء العزلة، إلا أنها برأي"فروم"تبعث هي الأخرى "شكا "عميقا في ذات الفرد، ذلك أن هذا الأخير، لايبني أحكامه "القيمية" الخاصة، عن ذاته، من منطلق ثقة حقيقية، مؤسسة داخليا، بل بناءا على آراء "القطيع"، المتطابق معه، والذي إتخذ منه معيارا أخلاقيا وحيدا، وهو مايزج بالفرد ذاته، داخل معادلة "الإغتراب" اللاأخلاقية، التي إستغلت على أوسع نطاق، من طرف "الديمقراطيات" الغربية الحديثة، كغطاء على الإستبداد، وكسبيل لجعل "العبودية" الفردية والجماعية، عبودية "طوعية"، مبررة. (فروم، 1941-1972، صفحة 164)

ليتعمق"فروم" بشكل مفصل، في بيان وتحليل التوجهات "الإستيعابية-التراجعية" على وجه الخصوص، كمحاولة تحذيرية منه من جهة، وكمحاولة للحد من إمتدادها، أو علاجها من جهة أخرى، معددا منها أربع توجهات رئيسية، يمكن وضعها في خانة "اللاأخلاقي"، غير الداعم لنمو ووجود الإنسان، في مقدمتها، التوجه"الإستقبالي"، هذا التوجه، الذي يعتقد صاحبه دوما، أن إشباع إحتياجاته الداخلية، وحتى الخارجية، لايتأتى من مصدر "ذاتي"، بل من منبع خارجي، قوامه سجية الهبة، والمنة من طرف الآخر، وعليه وجب إستعطافه، إذ في مجال "الحب" مثلا، يغيب فعل "الحب" بالنسبة له، ليختزل في علاقة، يكون فيها "موضوعا"، بدل أن يكون "منتجا"، لفعل "الحب" و"التواصل"، أما على الصعيد الفكري،فهَم ومطلب، أصحاب هذا التوجه، لايخرج أن أطر "إستهلاك" الأفكار، لابنائها ونقدها، ليتجلى أيضا على المستوى "الإعتقادي"، موضوع *الإعتقاد* بالنسبة لهم، كمصدر لكل شيء، بدل أن تكون ذاتهم هي "المصدر"، و"الإستقبالية-التلقفية" كتوجه " لا-أخلاقي"، تعتبر كذلك سمة عامة، طغت على شخصية الإنسان المعاصر، الذي أضحى عنوانا للإستهلاك والإمتصاص، أما إجتماعيا فتتوافق "الإستقبالية" مع "المازوخية"، وإن إتسم أصحابها، بنوع من "الود "و"التفاؤل". (fromm, 2013, p. 62)

ضمن التوجهات الأربعة "اللامنتجة"، يتطرق "فروم"أيضا، إلى التوجه "الإستغلالي-الإستحواذي"، المبني هو الآخر على الإعتقاد، بأن

"الإشباع"، هو درجة يتم بلوغها، لابناءا على إمدادات "داخلية"، بل "خارجية"، وهنا يختلف عن التوجه"الإستقبالي"، في كونه يُؤمن بأن القوة، والخداع، وعدم الثقة بالآخر، هي آلية الحصول على موارد "الإشباع" منه، ومن العالم، ولذلك نجد صاحبه يميل، إلى سرقة وتقليد الأفكار، وأخذ "الحب" كقيمة، بدل منحه، وهو مايجعل هذا التوجه يتوافق، ويتطابق إجتماعيا مع "السادية". (fromm, 2013, p. 63)

أما بالنسبة للتوجه "الإدخاري"،كتوجه أساسي، "غير أخلاقي" كذلك، فيذهب "فروم"إلى الإعتقاد، بأن أصحاب هذا التوجه، لايثقون عموما بشكل مفرط، في الخارج، كمورد إشباع، وعدم الثقة هذه، جعلتهم يطورون نظام "حماية"، أساسه فعل "الجمع" و"التوفير"، بدل "الإستهلاك"، الذي يمثل في إعتقادهم "تهديدا" وجوديا، ويتميز أصحاب هذا التوجه، بالبخل المادي والمعنوي، والميل للتملك في فعل "الحب"، مع رفض قيم "التعاون"، وإعتبار العالم محطة قذرة، وإن تميزوا بالدقة المفرطة في غالب الأحيان، فإنهم يميلون للتدمير و"الموت"، بدل "الحياة" والبناء، ضمن عملية "التكيف الاجتماعي". (فروم, إريك، 1947-2007، صفحة 98)

أما التوجه "التسويقي" المستلب، المهيمن على الهيكل الداخلي للإنسان المعاصر بشكل شبه شامل، فظهوره مرتبط حسب "فروم"، بتطور الهيكل "المادي" -التجاري والإقتصادي، للمجتمع المعاصر ككل، بنية وممارسة، لدرجة أن "السوق"، لم يعد يقتصر على "المنتج" المادي فحسب، بل إمتد ليطال"شخصية" الأفراد، التي أضحت قابلة للمساومة، والبيع، هي الأخرى (fromm, 2013, p. 67)، وهنا نلحظ أن المعيار القيمي، للحكم على الفرد "الناجح"، لم يعد إمكاناته وقدراته، بل تحور لمدى تمكنه، من بيع نفسه في سوق "الشخصية"، وعلى العموم تسيطر عليه السطحية، والمظاهر، ويغلب على صاحبه الطابع "اللامبالي"، على مستوى عملية "التواصل"، و"التنشئة الإجتماعية". (fromm, psychoanalysis and relegion , 2013, p. 83)

وبإستناده إلى التحليلات "الماركسية"، نلاحظ أنه يربط بشكل كبير، بين مسار تشكل هيكل، وتوجه "شخصية" الفرد، وقيمه الأخلاقية، وبين طريقة "تفاعله" مع الآخر، التي يلعب فيها البناء "التحتي"، الإجتماعي -الإقتصادي، المجتمعي، دورا محوريا، لدرجة أن تحليل "شخصية" فرد واحد، ستكشف "الشخصية الإجتماعية" العامة، توجهاتها، وقيمها، التي تمثل تعبر عن سائر أفراد المجتمع الواحد، الذي ينتمي إليه هذا الفرد (فروم, إريك، 1947-2007، صفحة 110)، وبالرغم من تمييزة بين عديد "التوجهات" الشخصية، إلا أن "فروم"ينبه "بأننا جميعا، عبارة عن حقيبة مختلطة، من أنماط شخصية "منتجة "، وأخرى "غير منتجة"، بنسب متفاوتة،متقاربة في الغالب، عكس "الواقع"،الذي غلبة عليه "الإنتاجية السلبية"، متجاوزة بشكل كبير، كل أخلاق إنسانية، للدرجة التي جعلتنا ندرك، أن مشكلتنا الأخلاقية، تكمن في فقداننا لكل "معنى"، وتحولنا لأداة –آلة". (Friedman, 2016, p. 169)

ومع تطويره لمفاهيمه وأبحاثه، ينتقل، ليجعل من "حب الحياة" معيارا وجوديا، وأخلاقيا، أساسيا، لتصنيف توجهات "الشخصية"الإنسانية، والحكم على شخص ما بالأخلاقي، أو اللا- أخلاقي، وهنا نجده يميز بين

متلازمتين، أو توجهين رئيسيين، هما: "متلازمة النمو" الأخلاقية، الإنسانية، ومتلازمة "الإنحدار"أو "التدهور" بإعتبارها نقيضا تاما، لسابقتها (فروم، 1964-2011، صفحة 20)، هذه الأخيرة تضم ثلاث توجهات "لا أخلاقية"، خبيثة، مضادة لفعل، وفن "الحياة"والعيش "المنتج"، على رأسها التوجه أو الشخصية "النيكروفيلية"، و"النيكروفيليا" بطبيعة الحال، مصطلح مُستلهم من خطاب، ألقاه المفكر "أونامو"سنة1936م، للإشارة إلى نوع من "الإنحراف الجنسي" النادر، ليوسع "فروم"معناه فيما بعد، موظفا إياه كدلالة "نفسية –أخلاقية"، للتعبير عن "كراهية" الحياة و، وعدم الحب، والإنجذاب نحو "الموت" ومظاهره، وهو مايمثل نقيض تام "للبيوفيليا". (fromm, the heat of man -its genuis for good and evil, p. 12)

إن "النيكروفيلي" في نظر"فروم"شخصية تقدس "الموت"، وتحتكم لأخلاقه، إذ تميل في حواراتها بشكل كامل، للخوض في مواضيع "المرض"، "الجنائز"، و"الكوارث"، كمواضيع تواصل ونقاش مع الآخر، آخر تسعى دوما إلى تملكه، ومحاولة سحبه معها، لانحو- المستقبل، بل نحو- الماضي، الذي تعتبره الأهم، نحو "الآلية" بدل" العضوية"، ونحو الفكرة "الجامدة"، بدل المشاعر "الحية"، نحو أخلاق "الدمار"، عوض الأخلاق "الإنسانية- التشاركية"، والشخص "النيكروفيلي" حسبه، لايستمتع بتدمير ذاته، أو أشيائه فقط، بل يميل لتدمير الآخر أيضا، فردا كان، أو جماعة، و*النيكروفيليا* هي أقصى درجات "التدميرية "، والمثال الأوضح عن تبنيها والزيغان نحوها، هو الزعيم النازي"أدولف هتلر". (فروم، 1964-2011، صفحة 45)

يصنف فروم "النرجسية" أيضا، ضمن "متلازمة الإنحدار" الغيرأخلاقية، الرافضة للحياة، إذ يعتبرها نتيجة حتمية، للفشل الذريع، كنتيجة عن "العجز" التام، في ربط علاقة "حب" سوية، بالذات والآخر، حيث أن كل ماتعلق بالنرجسي، جسده، وحتى فضلاته، يعتبر "مقدسا" بالنسبة إليه، في مقابل تصوره، ووضعه الآخر في مرتبة "دونية" أقل، تثير الإشمئزاز، والإحتقار في نفس "النرجسي" طبعا (فروم، 1964-2011، صفحة 87)، إنه يرى نفسه "العالم" كله، أما ما عداه من الأشخاص، فلاوجود لهم بالمرة، ويمكن أن تتوسع "النرجسية"وفقه، لتتخذ بعدا إجتماعيا، يؤسس "للطبقية" و"العرقية"، وبالتالي يساهم في إشعال فتيل "الحروب". (فروم، 1964-2011، صفحة 87)

وللخروج من مأزق "النرجسية"كتجلي لاأخلاقي، يقترح "فروم"الإبقاء على الحد الأدنى منها، وقصره على الوظيفة "البيولوجية"فقط، والمتمثلة في "حفظ البقاء"، مع موازنتها دوما، ومتابعتها بمعيار *الإنسانية –الأخلاقية* الشامل. (فروم، 1964-2011، صفحة 100)

بالنسبة للتوجه الآخر، المضاد للقيم *البيوفيلية* الأخلاقية، فيتمثل وفقه في "التثبيت السفاحي-الأوديبي"، كتوجه يمنع تشكل "القطائع الوجودية" مع الروابط الأولية، وبالتالي يمنع نضج "الفردانية "، ونمو الملكات الإنسانية الخاصة،و التي تمثل بوابة الأخلاق الحقة، هذه الرغبة "التثبيتية- التراجعية"، في عدم مفارقة "الرحم"، قد تجسدها علاقة طفل ما بأمه، أو فرد بأسرته، بعشيرة، بأمة، أو بمعتقد، وعلى المستوى الطفولي، لا يتحدد"التثبيت السفاحي" في إعتقاد "فروم" بواسطة"الغريزة" *فحسب، وذلك لميل

عديد "الإناث" نحو- الأم كذلك. (فروم، 1964-2011، صفحة 128)

وعليه يعتبر"التثبيت السفاحي" حاجزا، يمنع المرور نحو- الإنسانية الأخلاقية، كما يمنع إدراكها في كونيتها، ذلك أن "السفاحي"، يرى "الهمجية" واللاقيمية، في كل آخر، ماعدى ذاته، وذلك الشخص المرتبط به "سفاحيا". (فروم، 1964-2011، صفحة 142)

وهذه المفاهيم بالتحديد، ذات إمتداد متصل، بتلك التي صاغها "فرويد" سابقا، والمتمثلة في "غريزةالموت"،"النرجسية"، وعقدة "أوديب-إلكترا"، وهي بإجتماعها، تشكل جوهر "متلازمة الإنحدار"، كضدية تامة ل"متلازمة النمو"، القائمة على "البيوفيليا" الأخلاقية، كنقيض "للنيكروفيليا" اللاأخلاقية، وعلى "الحب" السوي، كنقيض "للنرجسية"، و"الحرية" و"الإستقلالية"، كنقيض "للتثبيت السفاحي". (fromm, the heat of man -its genuis for good and evil, p. 12)

وفي إطار تأسيسه لمقاربته "الأخلاقية-الإنسانية"، التي تربط التنظير "الأخلاقي"، بمركب الشخصية البشرية، وتحكم عليه، بمدى تحقيقه لإمكاناتها الكاملة، لم يكتفي"فروم"، بالتعمق في التوجهات السالفة الذكر، المتعددة، بل حاول تقديم رؤيا أنضج، برزت في كتاباته الأخيرة (كتاب: الإمتلاك أو الوجود –الأسس النفسية لمجتمع جديد)، التي ربط فيها المواقف الأخلاقية، بتوجهين رئيسيين هما: "الإمتلاك" و"الوجود".

حيث إعتبر "الإمتلاك"،أحد مسالك التواصل مع "الذات-عالم"، مسلك نقيض لنظيره "الوجودي"، لايقوم على التواصل "السوي"، والبناء الداخلي الإيجابي، للعلاقة وللذات ككل، بل إن جوهره "الإستحواذ"، على الآخر والأشياء، وسيطرته هي نتاج فشل، في تبني نقيضه "الوجودي"، وبالتالي يمثل تعبيرا وتجليا، لعجز عن بناء ذات مفعلة الإمكانات،موجهة بقيم إيجابية (فروم، 1976-2018، صفحة 269)، أو جمودا في خلق تجربة "عيش" أصيلة، على مختلف الأصعدة والمجالات، التي يعددها "فروم" مقارنة، كمجال"التعليم" مثلا، الذي يصبح، ضمن التوجه "الإمتلاكي"، مجرد حفظ للمعلومات، أجوف، خالي من كل نقد، إبداع، وحوار تعلمي، وهو ما يكفلهما نقيضه "الكينوني-الوجودي"، الأخلاقي، بطبيعة الحال.

والأمر نفسه، بالنسبة لفعل "التذكر"، حيث تغدو "الذاكرة"، على مستوى التوجه"التملكي"، مجرد عملية "ميكانيكية"، غايتها إسترجاع صور ميتة، خاوية،من كل روح "حية"، بخلاف "الذاكرة" ضمن النمط "الوجودي"، التي تبعث، وتنفخ روح "الحياة" من جديد، بصورة ما، في كل ماتم إسترجاعه وتذكره، ليتطرق أيضا لفعل "الحوار"، الذي يمثل بوابة "التواصل"، و"المشاركة" مع الآخر، مؤكدا غياب "فن الإصغاء" والإنصات، وحضورية التعنت، ورفض رأي الآخر، ضمن التوجه "الإمتلاكي"، ليكفل "الوجودي"منه، دعم سماع الآخر، وحواره البناء، أما بماتعلق بفعل "القراءة"، فيغدو مجرد فعل "سطحي"، ضمن النمط "التملكي"، في ظل غياب العمق والفهم الواضح للفكرة، أما"الإيمان" في أطر "التملكية"، فهو ذاك، الذي يفرغ ذات الفرد، ويسقط ما أفرغه على "كيان –معبود"، ضمن علاقة "صنمية"غير أخلاقية، تشل إمكانات الإنسان، لايكتفي "فروم"بهذا الحد، بل يتطرق أيضا لفعل" الحب" الإنساني، الذي يهدف حسبه، لتملك

الآخر، ضمن التوجه "الإمتلاكي"، ودعمه وإحترامه ومعرفته،بدل هذا، ضمن نقيضه "الوجودي". (فروم، 1976-2018، الصفحات 49-72)

ليخلص أخيرا، إلى تصنيف قيم "التملك" كقيم لا أخلاقية، ولا عقلانية، في مقابل تصنيف قيم "الوجود"، كقيم أخلاقية، إنسانية -عقلانية، وبالرغم من سيطرة التوجه" التملكي"، على هيكل "شخصية" الإنسان المعاصر، ورغم خبثه ولاإنتاجيته، إلا أن "فروم"، يضع ثقة كبيرة في الأجيال الشابة، ويزكي إستهلاكها، وينزه كون إرتباطها بالتوجهات "التملكية"، كنتيجة وكمقصدية لرجعية –وجودية معينة، بل كشكل من أشكال "الفرح" الصادق. (fromm, to have or to be?, p. 70)

وعموما يخلص "فروم"، إلى ربط توجهات "الشخصية"، بإختيارات الأفراد والجماعات "الأخلاقية"، إذ أن سيطرة النزعة التوجهية "اللاعقلانية"، ستقود حتما إلى تبني "أخلاق-لاعقلانية"، تنحو بالإنسان، نحو الإنحطاط والتراجع، والعكس صحيح، ولهذا يشيد، ويؤكد على ضرورة، وأهمية علم" النفس –التحليلي"على وجه الخصوص، في تأسيس قيم أخلاقية، سوية، إنسانية، وهذا لإيمانه، بالقدرة التي يمتلكها هذا الأخير، في إحداث تغييرات عميقة، على مستوى بنية"الطبع"، وتوجهات "الشخصية".

5. خاتمة:

يمكن القول ختاما، بأن "أخلقة" الوجود الإنساني، عند "إريك فروم"،ليست مجرد مسألة سطحية، بل غاية تتخذ بعدا، ومنطلقا "نفسيا"، يمتد للغور في عمق "كينونة" و"شخصية" الفرد، بناءا، مع إفتراض ضرورة إستجابة "القيمة الأخلاقية"، للتحقق الكامل للإمكانات والإحتياجات البشرية، "شرطا"، بالإضافة "للزومية"، تمكن حل هذه الأخيرة، لمشكلة "العزلة" و"الوحدة" التي تهدد الفرد، كيانه، وعلاقاته (بالذات، الآخر، العالم)، لا بالأشكال "الهروبية- التعويضية"، بل وفقا لإستجابة إيجابية، قوامها الإنتاجية، الحب، والعفوية،"غاية" و"منهجا"، كل هذا تضمنه، وتدعمه "الأخلاق الإنسانية "حسبه، بشكل كامل.

- نتائج الدراسة:

-إمكانية قيام "علم" للأخلاق، نابع من خصوصية الوضع الإنساني، تنظيرا وتطبيقا، موجه بالدرجة الأولى، نحو - حفظ ذات الإنسان، وعلاقاته، على مستوى "وجودي"، "تواصلي"، "كوني".

- "الأخلاق الإنسانية "، هي النمط الأخلاقي الواجب أن يكون، حسب تصور "فروم"، ذلك أنه النمط الوحيد، والفريد، الذي يتعالى بالفرد، عن الوقوع في بؤر الإنتكاسات"الوجودية- التراجعية"، كالاغتراب مثلا، وهو نمط نقيض، للأخلاق "التسلطية"، التي تفرغ ذوات الأفراد، وتساهم في الزج بهم، ضمن علاقات التبعية، والصنمية، المستلبة.

-علم "النفس التحليلي-الإنساني"، يعتبر "علما" ضروريا، لبناء كل تنظير أخلاقي -سوي، قويم، ذلك أنه السبيل الوحيد، لولوج مكنونات "الشخصية" الإنسانية، وكشف توجهاتها، في ظل إمكانية إستخدامه، لفهم "الطبع"، بل وتحسينه أيضا.

-الأخلاق "الحقيقية" وفق "فروم"، هي تلك التي تعمل، على حل مشاكل الإنسان "الوجودية" عامة، وتوفر وتضمن له، إشباعا كاملا لحاجاته الأساسية، وهي تلك التي تتجاوز "محدودية"الجماعة، إلى "شمولية"، و"كونية"

الإنسانية جمعاء، تنظيرا وتطبيقا، لا بمعنى أداتي، بل لتكون من الإنسان، وله، ولجموع بني جنسه، للدرجة التي تجعله، يتمثل، ويحمل كل الإنسانية داخله، من منطلق أنه فرد، من "كل"، تمثله هي.

6. قائمة المراجع:

1. إريك فروم. (1941-1972). الخوف من الحرية. بيروت -لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
2. إريك فروم. (1947-2007). الإنسان من أجل ذاته -بحث في سيكولوجيا الأخلاق.
3. إريك فروم. (1955-2009). المجتمع السوي.
4. إريك فروم. (1964-2011). جوهر الإنسان. اللاذقية، سوريا: دار الحوار.
5. إريك فروم. (1968-2010). ثورة الأمل -نحو تكنولوجيا مؤنسة. القاهرة: دار الكلمة للنشر والتوزيع.
6. إريك فروم. (1976-2018). الإمتلاك أو الوجود -الأسس النفسية لمجتمع جديد. بيروت، لبنان: جداول للنشر والتوزيع.
7. إريك فروم، سوزوكي د.ت، ومارتينو ريتشارد. (1959-2006). بوذية الزن والتحليل النفسي. أزمنة للنشر والتوزيع.
8. fromm, E. (2013). escape from freedom. new york: open read integrated media.
9. fromm, E. (2013). man for himself -an inquiry into the psychology of ethics.
10. fromm, E. (2013). psychoanalysis and relegion . new york: open read integrated media.
11. fromm, E. (s.d.). psychoanalysis and zen buddhism . new york: open read integrated media.
12. fromm, E. (s.d.). the heat of man - its genuis for good and evil. new york, united states of america: harper e row.
13. fromm, E. (s.d.). to have or to be? new york: open read integrated media.
14. .Friedman, L. J. (2016). Los rostros de Erich Fromm. Fondo de Cultura Económica.
15. .Lundgren, S. (1998). Fight against idols: Erich Fromm on religion, Judaism and the Bible. Peter Lang.
16. . Pikkola, M. (2010). Prophet of radicalism: Erich Fromm and figurative constitution of the crisis of modernity. University Printing House 16-23.5.